القراءة في الزمن المتغير

يقول العالم الأمريكي راي باردبوري: «هناك جريمة أكبر من جريمة حرق الكتب، ألا وهي جريمة عدم قراءتها»

وقبل ذلك بقرون وفي مكان آخر من العالم وضمن حضارة مغايرة ولغة مختلفة، قال الشاعر العربي الشهير أبو الطيب المتنبي:

أَعَزُّ مَكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابِحٍ وَخَيرُ جَليسٍ في الزّمانِ كِتابُ

فعلى الرغم من فارق الزمان والمكان واختلاف الثقافة واللسان، اتّفق الرجلان على أهميّة الكتاب وقراءته.

وإن عدنا إلى الوراء أبعد من ذلك قليلاً، وجدنا أن الدين الإسلامي الحنيف أشار إلى أهميّة القراءة منذ البداية، فأول آية نزلت على الرسول ﷺ وهو يتعبّد في غار حراء كانت:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (العلق).

ونظراً للتطور التكنولوجي الهائل والانفجار المعرفي الذي يشهده العصر الحالي والاهتمام بحرية التعبير وإبداء الرأي اتسع مفهوم القراءة، وأصبحت القراءة عقلية انفعالية تشمل تفسير الرموز والرسوم التي يتلقاها القارئ عن طريق فهم المعاني والربط بين الخبرة السابقة للقارئ وهذه المعاني والاستنتاج والنقد والحكم والتذوق وحل المشكلات، ومن هنا جاءت أهمية ربط القراءة بالابتكار والإبداع، وخرجت القراءة من مفهومها التقليدي الذي أصبحت لا يفي بحاجات العصر إلى القراءة الابتكارية التي تجعل من الكتاب مصدراً للتفكير والإبداع، وتجعل المتعلم يغوص في المادة المقروءة ليكتسب الحقيقة فيما يقرأ، ويستدعي الأفكار المخبوءة التي يمتلكها هو والتي يمزجها بتخيله، فيزداد رصيده من المادة المقروءة، ويصبح قادراً على توظيفه واستخدامها أو إعادة كتابتها والتعبير عنها.

يعاني الوطن العربي من قلة القراءة ففي احصائية وُجد أن كل مليون عربي يقرؤون 30 كتاباً فقط. إذا فالمقارنة تكشف لنا أن وضع القراءة في العالم العربي مزر للغاية، ونحن هنا نتحدث عن القراءة أياً كانت، (كتب الطبخ مثلاً أو التنجيم) فما بالك بقراء النقد الأدبي، أو النص الإبداعي. بعض أسباب ضعف القراءة في العالم العربي منها: الوضع الاقتصادي المتدهور الذي لا يسمح بشراء الكتب، وكذلك انتشار الأمية التي تبلغ أعلى مستوياتها في دول عربية مثل: اليمن، موريتانيا، وجيبوتي، إضافة إلى انتشار الجهل هناك نسبة واسعة من المواطنين يتركون الدراسة بعد انتهاء المرحلة الابتدائية، ويلتحقون بسوق العمل. فالناس، أو أكثرهم، في العالم العربي لا يجدون قوت يومهم لذلك ظلوا يعدون لقمة الخبز أهم من الحرف، وصحن طعام أهم من جملة مفيدة، وكيساً من المواد الغذائية أهم بكثير من مقال في جريدة أو قصة قصيرة.

ونظراً للتطور الحاصل في الغرب من أهم ركائزه حرص المواطن الغربي على القراءة، وليس غريباً أن ترى أن القراءة تستهوي المواطن الغربي بأعماره المختلفة، ولا تجد غرابة عندما تدخل مستوصفاً أو أي مكان رسمي وتجد رفوف الكتب وكأنك داخل إلى مكتبة. وما يزيد تشجيعهم على القراءة أن الطالب بمجرد تسجيله في المدرسة يمنح كارت المكتبة العامة التي تكون عادة قريبة من مدرسته، لكي يتمكن من استعارة الكثير من الكتب وبشتى التوجهات، وبالمقارنة إذا نظرنا إلى عالمنا العربي نجد بالفعل ما يخيب الآمال في هذا الاتجاه، وأن أمة (اقرأ) أصبحت اليوم للأسف لا تقرأ.

ودليل ذلك ما نجده من أرقام طرحت من قبل مؤسسات بحثية عن مستوى القراءة بين الشرق والغرب، فقد أكدت إحدى دراسات المركز العربي للتنمية أن مستوى قراءة الطفل العربي لا يزيد على 6 دقائق في السنة، ومعدل ما يقرأ 6 ورقات، ومتوسط قراءة الشاب من نصف صفحة إلى نصف كتاب في السنة، ومتوسط القراءة لكل مواطن عربي لا يساوي أكثر من 10 دقائق في السنة مقابل 12 ألف دقيقة للمواطن الأوروبي.

ينشر العالم العربي أقل من 2000 كتاب في السنة، كتب الطبخ تحتل الصدارة بنسبة 23 % على الإنترنت.

وأوردت الدراسات أن عدد الكتب المؤلفة سنوياً والمتوافرة للطفل العربي لا تزيد على 400 كتاب، مقارنة بالكتب المؤلفة والمتوافرة للطفل الأمريكي مثلاً، والتي فاقت 13260 كتاباً في السنة، والطفل البريطاني 3837 كتاباً، والطفل الفرنسي 2118 كتاباً، والطفل الروسي 1458 كتاباً في السنة الواحدة.

يحتل البحث عن كتاب في قوقل المرتبة الـ 153 من بين اهتماماتنا العربية.

وأوضح تقرير (التنمية الثقافية) الذي تصدره مؤسسة الفكر العربي، وقدمت مضامينه في الدورة العاشرة لمؤتمر (فكر) المنعقد في 5 - 7 كانون الأول/ديسمبر 2001 بدبي بالإمارات، أن متوسط قراءة الفرد الأوروبي يبلغ نحو 200 ساعة سنوياً، في حين يتناقص معدل القراءة لدى الفرد العربي إلى 6 دقائق سنوياً، واصفاً نسبة القراءة المسجلة في الوطن العربي بـ(المخيفة والكارثية).

وأضافت الوثيقة، أن مستوى القراءة في الدول العربية يتفاوت من بلد لآخر حسب العديد من المحددات أبرزها عامل السن والمستوى الثقافي والاقتصادي، والوسط المعيشي والجغرافي والبيئي.

وأبرزت أن بيئة التعليم الناقصة هي السبب في تعطيل علاقة الإنسان بالكتاب، حاثة على تطوير المناهج الدراسية في المنظومات التعليمية العربية من أجل تكوين جيل جديد قادر على رفع نسبة القراءة وتنمية مداركه.

وأفادت دراسة أخيرة حول معدلات القراءة في العالم أن قراءة ربع صفحة أي كل 20 مواطناً عربياً يقرأون كتاباً واحداً فقط في السنة، بينما يقرأ كل مواطن ألماني أو بريطاني 7 كتب أي 140 ضعف ما يقرأه المواطن العربي، أما المواطن الأمريكي فيقرأ 11 كتاباً في السنة أي 220 ضعف ما يقرأه المواطن العربي في السنة.

وانتهت الدراسات إلى أن إجمالي ما يتم تأليفه من الكتب سنوياً في الدول العربية لا يساوي أكثر من 1.1% من الإنتاج العالمي السنوي من الكتب، بينما يزيد عدد سكان الوطن العربي مقابل سكان العالم بنسبة 5.5.

أما في مجال دعم البحث العلمي فقد سجلت أمريكا أعلى معدلات الإنفاق، بنسبة فاقت 3.1 % من ناتجها المحلي الإجمالي، بينما سجلت الدول العربية 0.2 % فقط، مما أدى إلى تراجع إجمالي علماء البحث العرب إلى 35 ألف باحث.

وقد أدى نمو الأهمية الاجتماعية للكلمة المطبوعة في عالمنا المعاصر إلى ظهور عدد كبير من البحوث والدراسات في بلدان أوروبا وفي أمريكا بشكل خاص. وخلال الثمانين سنة الأخيرة نشر في العالم أكثر من 40 ألف بحث علمي مكرس لقضايا القراءة، وعقدت عدة مؤتمرات دولية نظمتها (IRA) الرابطة الدولية للقراءة.

وفي تقرير التنمية العربي أن هناك كتاباً يصدر لكل 12 ألف مواطن عربي بينما يصدر كتاب لكل 500 مواطن إنجليزي أي أن معدل الإصدار في العالم العربي لا يتجاوز 4 % من معدل الإصدار في إنجلترا.

أما الكتب الإلكترونية فالواقع أشد ألماً .. تصل مبيعات الكتب في الغرب إلى أكثر من 40 ألف نسخة في اليوم الواحد، وتصل المبيعات للملايين. أما في العالم العربي فلا تكاد المبيعات تُذكر، وما زالت الأمية في العالم العربي منتشرة في حين أنها اختفت تماماً في بلد مثل اليابان منذ القرن التاسع عشر.

فإن تقرير منظمة اليونسيف يبين أن 70 مليونًا عربيًا ما زالوا أميين وثلثاهم من النساء والأطفال.

وتعالج هذه الدراسات دوافع القراءة، واهتمامات القراء، واتجاهات القراءة الأدبية للأجناس الأدبية المختلفة. وتركز هذه الدراسات بصورة خاصة على الجانب السيكولوجي للقراءة وللقارئ.

يقول الباحث فيليب ديفيس: «إن للأدب قوة وتأثيرا على العقل وقدرة في توليد أفكار جديدة»، ووجد باحثون بريطانيون «أن قراءة الأعمال الأدبية للشعراء والمؤلفين الكبار باللغة الإنجليزية - ولم يجب الباحثون لماذا تحديداً الشعراء والمؤلفين الكبار ولماذا تحديداً الأدب الإنجليزي- يوفر دفعاً كبيراً للدماغ ما يرفع المعنويات ويحفز على الاستمرار بالمطالعة لأوقات أطول» وخلص الخبراء في جامعة ليفربول إلى أن «قراءة الأعمال الأدبية لكبار الأدباء مثل شكسبير ووليام وورد زووروث ومن في منزلتهما الأدبية تترك تأثيراً مفيداً على الذهن، وترفع المعنويات من خلال جذب انتباه القارئ وحضه على التفكير».

أما الصين فهي تعمل على ترجمة وطباعة كل كتاب يصدر في أمريكا خلال ثلاثة أيام من صدوره، في حين أن أكبر الدول العربية لا يترجم فيها إلا 400 كتاب في السنة.

يقول خبير القراءة السريعة جمال الملا على قناة العربية في برنامج إضاءات بأن هناك أبحاثًا ودراسات علمية أكدت بأن المواطن الأمريكي يقضي 200 ساعة في السنة في قراءة الكتب ... وأن المواطن العربي يقضي 6 دقائق في السنة في قراءة الكتب ... وأن أرباح دار نشر واحدة في دولة غربية أكثر من أرباح دور 22 دولة عربية ، مع العلم أننا أمة (اقرأ).

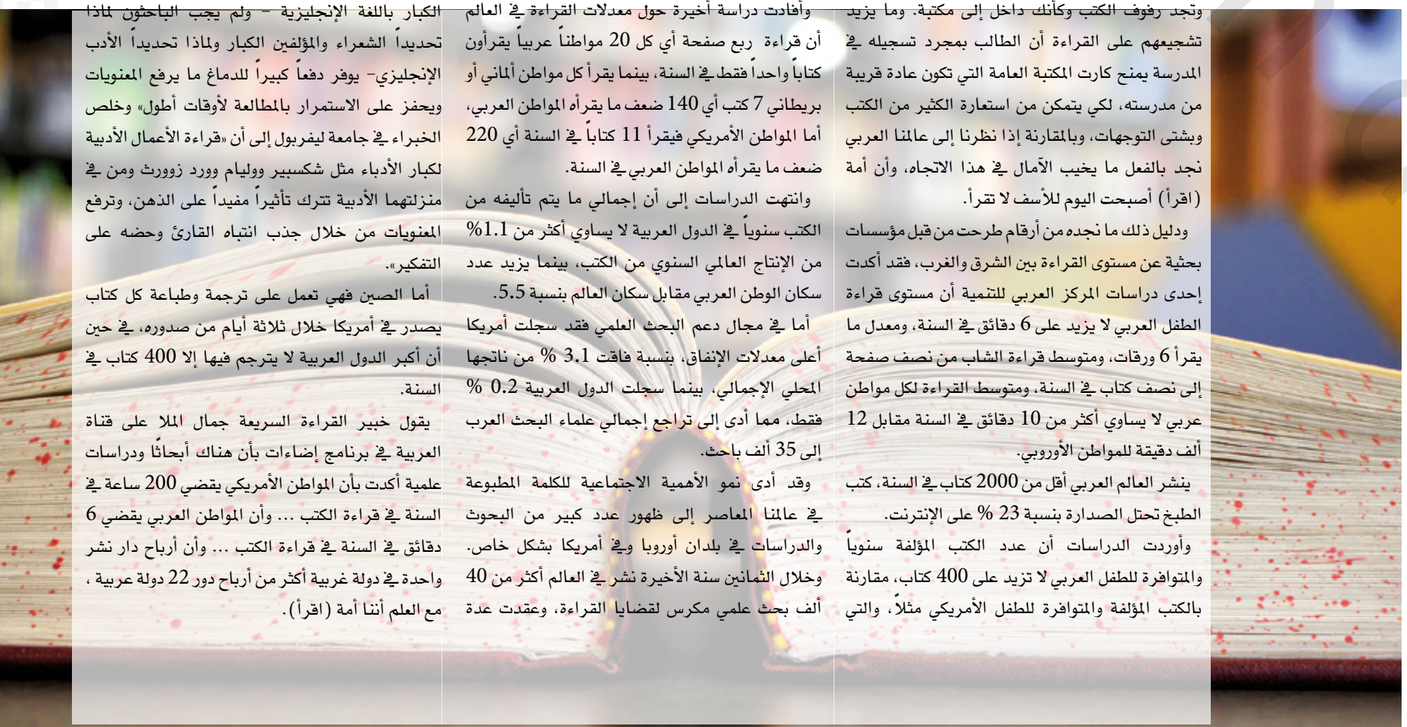

واقع القراءة وتأليف الكتب في عالمنا العربي!

في استطلاعات أجرتها ورشة العمل العربية لإحياء القراءة بناءً على النتائج الصادرة عن اتحاد كتاب الإنترنت العرب تبين ما يأتي:

ما تطبعه الدول العربية مجتمعة هو تقريباً مليون كتاب موزعة بين ثلاثمائة مليون مواطن عربي 60 % منهم أميون وأطفال، و20 % لا يقرأون أبداً، و15 % يقرأون بشكل متقطع وليسوا حريصين على اقتناء الكتاب، وما تبقى هم 5 % من المواطنين على القراءة وعددهم مليون ونصف فقط، أي أن حصيلة رخصة الفرد الواحد أقل من كتاب سنوياً في مقابل 518 كتاباً للفرد الواحد في أوروبا، و212 كتاباً للفرد في أمريكا، وفي إحصائية نشرت في بداية عام 2008 في إحدى الصحف اللبنانية بينت أن معدل القراءة لدى العربي هو (كلمة واحدة) في الأسبوع ويهبط مقدار معدل القراءة السنوي للفرد إلى ست دقائق في العام، أي أن 300 ألف عربي يقرأون ما يعادل كتاباً واحداً فقط مقارنة مع المواطن الغربي الذي يصل معدل قراءته إلى «36» ساعة في العام، أي أكثر بـ(360) مرة من المواطن العربي. إحصائية عالمية أخرى بينت أن معدل القراءة السنوي أربعة كتب للفرد وفي أمريكا (11) كتاباً، وفي انجلترا (7) كتب، أما في العالم العربي فربع صفحة للفرد الواحد، يوازي عدد الكتب المطبوعة في أسبانيا ما طبعه العرب منذ عهد المأمون وفي حقل استهلاك الورق فإن دار (غاليمار) الفرنسية للنشر لوحدها تستهلك ما يفوق كل المطابع العربية مجتمعة من كمية الورق..

مأساة الترجمة

تمثل حركة الترجمة مثالاً مهماً على النشاط والتلاقح الفكري والحضاري، وقد «سمي» عصر المأمون بعصر الترجمة لما مثله هذا النشاط من فعالية مهمة، كانت السبب في حركة الفكر العربي النشطة في ما بعد، وإذا ما قارنا حركة الترجمة مع ما يماثلها في الوقت الحاضر سنخلص إلى أن عدد الكتب المترجمة إلى العربية في ثلاثة عقود من عام 1970م إلى عام 2000م مثلاً بلغ ما يعادل 6881 كتاباً، وهذا ما يعادل ما نقل إلى اللغة الليتوانية التي يبلغ عدد الناطقين بها أربعة ملايين شخص فقط، وكان تقرير الأمم المتحدة قد كشف عن وضع مزر بهذا الخصوص إذ إن العرب لا يترجمون إلا خُمس ما يترجمه اليونانيون في الوقت الحاضر.

وبلغ متوسط الترجمة لكل مليون شخص من العرب في السنوات الأولى من ثمانينيات القرن العشرين يساوي (4.4) كتب أي أقل من كتاب واحد كل سنة، في حين بلغ (519) كتابا في المجر و (920) كتابا في أسبانيا . وفي إطار مسح ميداني أجراه شوقي جلال عن واقع الترجمة، ونشره في كتاب الترجمة في الوطن العربي يشير إلى أن إجمالي الكتب المترجمة في الوطن العربي منذ عصر الخليفة المأمون وحتى يومنا هذا يصل إلى عشرة آلاف عنوان، أي يساوي ما ترجمته إسرائيل في أقل من (25) سنة، أو ما ترجمته البرازيل في أربع سنوات، أو ما ترجمته أسبانيا في سنة واحدة.

حقائق:

حقائق مخزية تبعث على السخرية ما كشفه استطلاع مصري بيّن أن معظم الطلاب لا يقرأون الصحف اليومية إطلاقاً فيما بلغ متوسط ساعات الجلوس أمام التلفاز (6) ساعات، وكشفت الأسئلة التي تتعلق بمدى معرفة الشخصيات عن جهل الطلبة بأسماء الكثير من المفكرين والشخصيات العامة، فمثلاً.. عرّف الكثيرون من الطلبة من خلال الاستطلاع أن عبدالرحمن الكواكبي صحافي مصري، وسعد زغلول شاعر سوري، وبابلو نيرودا شاعر مغربي، وقد جرى استطلاع في الكويت مماثل فكانت الأجوبة كالآتي: 59 % قالوا: إن كوفي عنان حارس مرمى منتخب الكاميرون، و16 % أجابوا أن روجيه غارودي لاعب في منتخب فرنسا عام 1998، والشيخ أحمد ياسين أعدته الأغلبية شقيق الممثل الكوميدي إسماعيل ياسين؟! وجرى في العراق في الثمانينيات استطلاع عن ثقافة الطالب، فـ77 % من عينة الاستطلاع لا يعرفون من هو عبدالقادر الرسام والذين تعرفوا عليه بأنه رسام من خلال اللقب فقط!!

فهل لنا أن نتساءل بعد ذلك عن السر في تخلفنا ومعطيات الواقع تشير بجلاء إلى تدهور حال القراءة والثقافة في العالم العربي.

﴿معدل القراءة السنوي أربعة كتب للفرد وفي أمريكا (١١) كتاباً، وفي انجلترا (٧) كتب، أما في العالم العربي فربع صفحة للفرد الواحد، يوازي عدد الكتب المطبوعة في أسبانيا ما طبعه العرب منذ عهد المأمون﴾

﴿ العرب لا يترجمون إلا خُمس ما يترجمه اليونانيون في الوقت الحاضر..﴾

﴿عبدالرحمن الكواكبي صحافي مصري، وسعد زغلول شاعر سوري، وبابلو نيرودا شاعر مغربي وروجيه غارودي لاعب في منتخب فرنسا عام 1998، والشيخ أحمد ياسين اعتبرته الأغلبية شقيق الممثل الكوميدي اسماعيل ياسين؟!﴾

تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على القراءة

نحن نعيش عصر العولمة وطغيان ثقافة الإنترنت وسهولة الحصول على المعلومة دون عناء، فأدوات الجيل الثاني من الويب أصبحت مؤثرة (فالفيس بوك) و(اليوتيوب) و(تويتر) وغيرها أصبحت هي الأدوات الثقافية الجديدة وأوجدت ثقافة الحوار والتعريف بالذات من خلال هوية وبلد المشترك وعاداته والتواصل مع الآخر ووضع قضية ما على محك الحوار واستقطاب المحاورين في دقائق وبغض النظر عما يحمله هذا النمط الجديد من ثقافة الحوار فإنه قد يحمل عدداً من السلبيات إذا لم يتم تشجيع الشباب العربي على اعتماد مناقشة ما يقرؤونه من كتب كمبدأ للحوار، سواء كانت هناك مناسبات ثقافية أو ذكرى رحيل مبدع عربي أو غربي من مبدأ المعرفة والتزود بالثقافة. إن عدم إثراء المحتوى العربي المعرفي على شبكة الإنترنت هو الأصعب، فكم هو عدد الكتب الإلكترونية العربية؟ وكم عدد رسائل الماجستير والدكتوراه المتاحة على شبكة الإنترنت؟ وكم هو عدد المجلات العلمية والثقافية الإلكترونية؟ وكم عدد بحوث المؤتمرات المتاحة الكترونياً؟ فالجواب يكون نادراً أو معدوماً، ومن ثمّ لم يتبق لنا في ثقافة الإنترنت غير الكثير من المحتوى الذي إما أن يكون غير أخلاقي أو سياسياً أو ترفيهياً. ولكن بما أن العرب يشكلون 5 % من سكان العالم فما حصتهم من الإنتاج المعرفي العالمي؟ على سبيل المثال يضم العالم العربي قرابة 395 جامعة، ولكن ما الإنتاج العلمي المشهود لأساتذة الجامعات، ففي الترتيب العالمي لأفضل 500 جامعة لا توجد جامعة عربية واحدة.

إن الارتقاء بالقراءة بوضع برامج وخطط ومشاريع ترصد لها ميزانيات بهدف إثراء المحتوى المعرفي على شبكة الإنترنت بتحويل الكثير من موارد المعلومات الثقافية والعلمية من الشكل المطبوع إلى الرقمي مع مراعاة حقوق الملكية الفكرية للناشرين والمؤلفين. تضاف أزمة القراءة في العالم العربي إلى منظومة الصعوبات والمعوقات التي يعاني منها الوطن العربي من محيطه إلى خليجه، مما أدى إلى هذا التراجع الخطير لدور المثقف العربي على كافة الصعد والمستويات، وذلك باعتبار أن القراءة بمفهومها الشامل والحديث ليس مجرد الجهر والنطق بالكلمات، ولكنها عملية فكرية عقلية تستند على العديد من المهارات كالنقد والتحليل، مما يؤدي إلى تفاعل منهجي بين القارئ وبين ما يقرأ.

ثمة حقيقة لا ينكُرها عاقِل، ألا وهي أن «معظم الصحف تُعاني من ركودٍ ملحوظ في الشِّراء، وبخاصة في الوطن العربي، وذلك بسبب الثورة المعلوماتية في الشبكة العنكبوتية»، ولم تعُد الصحيفة هي المصدر الأوحد للخبر، فإن الإحصائيات المدونة تثير الفزع أيضاً، حيث يقدر نسبة الصحف التي يتم توزيعها إلى عدد السكان يقل عن (53) صحيفة لكل (1000) شخص في البلدان النامية مقارنة مع (258) صحيفة لكل (1000) شخص في البلدان المتقدمة.

بل أصبح الإنترنت وسيلة أسرَع، فضلاً عن أنه يُتيح مجالا أوسع للبحث ومعرفة ما يحدُث في العالم كله لحظة بلحظة، وهو ما جعل مُعظم الشباب من المثقفين العرب يعزُفون عن شِراء الصحف والمجلات... فهناك بديل لا يمثل تكلفة مادية كبيرة، إضافة لكونه أسرع وأفضل، وهو الإنترنت.

ووفقاً لدراسة أصدرها مؤخراً مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار في مصر بعنوان (ماذا يقرأ المصريون؟) فإن نسبة تصل إلى 88 % من الأسر المصرية لا يقوم أي من أفرادها بقراءة أي نوع من الكتب باستثناء الكتب المدرسية.

وتشير الدراسة إلى أن نسبة قدرها 76 % من الأسر لا تقوم بقراءة الصحف والمجلات على الإطلاق، أما عدد الأسر التي يقوم أحد أفرادها بممارسة القراءة تقدر بنحو 2.2 مليون أسرة منهم نحو 5.1 ملايين ليس لديها مكتبة بالمنزل. وضمن الفئة القارئة فإن نسبة قراء الكتب الدينية تصل إلى 79 %، وتليها العلمية ثم الأدبية وأخيراً الكتب ذات الطابع السياسي.

لكن التطور الحاصل عالمياً في مجال الكتب الرقمية لا يجاريه تطور على المستوى العربي في هذا الاتجاه قد يدفع بالقراءة إلى مجال أوسع وأكثر عصرية، إذ إن نسبة المنشورات الرقمية العربية ضعيفة إضافة إلى ارتفاع نسبة (الأمية الرقمية)، وتردي الوضع الاجتماعي والاقتصادي للطبقة الوسطى الأكثر عدداً، التي تعد الفئة الأكثر إقبالاً على القراءة والمعرفة.

﴿أزمة القراءة في العالم العربي إلى منظومة الصعوبات والمعوقات التي يعاني منها الوطن العربي من محيطه إلى خليجه﴾

﴿لم تعُد الصحيفة هي المصدر الأوحد للخبر، بل أصبح الإنترنت وسيلة أسرَع، فضلاً عن أنه يُتيح مجالا أوسع للبحث ومعرفة ما يحدُث في العالم كله لحظة بلحظة﴾

﴿88 % من الأسر المصرية لا يقوم أي من أفرادها بقراءة أي نوع من الكتب باستثناء الكتب المدرسية﴾

زراعة حب القراءة في الأطفال

تتنوع الطرق التي تساعد على زراعة حب القراءة في الإنسان منذ الصغر، وتختلف من دولة إلى أخرى.

المكتبة العامة واختلاف الأساليب

فإذا أخذنا دولة كألمانيا مثالاً، نجد أنها تبدأ الاهتمام بزرع هذه العادة في الطفل منذ العام الرابع (هناك توجه الآن ليبدأ الأمر رسميًّا في المكتبات العامة بمجرد بلوغ الطفل عامه الثالث)؛ فنجد في المكتبات العامة يوم مخصص للقراءة، يجتمع فيه الأطفال مع أحد العاملين في المكتبة لقراءة كتاب، عادة ما يكون كتابًا مصورًا ذا قصة شيقة؛ ليجتذب بها أكبر عدد من الأطفال، ويكون الأمر أكثر تشويقًا.

فيعطون كل طفل ورقته الخاصة، تحمل اسمه، ويجمع فيها أختامًا عن كل مرة حضر فيها للاستماع، فإذا ما جمع عشرة أختام، أقيم له احتفال خاص، وقدمت له هدية أمام الجميع، وهي عبارة عن كتاب جديد، ليضيفه إلى مكتبته الخاصة في المنزل.

وهناك أسلوب آخر تتبعه المكتبة لتشجيع الأطفال على الحضور، وهو أنها تسلم كل طفل دفترًا صغيرًا يختم فيه ختم بكل زيارة، وعندما يكتمل الدفتر يفتح لهم صندوق الكنز، ذلك المحاط بسلسلة كبيرة قد أغلقت بقفل كبير، ليختار الطفل الهدية التي يريدها.

وتفضل المكتبة العامة ألا يمتلك الطفل كارت اشتراكه عن طريق والديه، فبمجرد وصول الطفل للصف الأول الابتدائي، يخصص يومًا لزيارة المكتبة عن طريق المدرسة، وهناك يتم عمل اشتراك لجميع الطلبة في المكتبة العامة، مع توضيح طريقة الاستعارة، وما هي الخدمات المتوقع أن تقدمها لهم المكتبة من الآن فصاعدًا.

فإذا ما بلغ الطلبة عامهم الرابع في المدرسة، قاموا برحلة أخرى للمكتبة، للتعرف على نظام المكتبة في الاستعارة، وكيفية تقسيم الكتب، وإلى ماذا يرمز كل رقم، وكل لون على غلاف الكتاب، وكيف يتم إدراجها إلى برنامج الاستعارة على الكمبيوتر، ويقوم الطلبة بتجربة ذلك بأنفسهم.

القراءة عند الأطفال مشكلة عالمية

تمثل القراءة وتنمية ميولها لدى الأطفال مطلباً تربوياً وثقافياً نظراً لما يتسم به عالم اليوم من انفجار معرفي سريع ومتغير، فالقراءة كما هو معروف من أهم وسائل كسب المعرفة والحصول على المعلومات، لذا أوضحت بعض الدراسات أنه كلما كان هناك تبكير في تثقيف وإثراء خبرات الأطفال بالكتب والقصص قبل المرحلة الابتدائية، كان استعدادهم للتعلم والقراءة والكتابة أفضل.

مسألة تشجيع الطفل على القراءة وتعويده من الأمور المعقدة في حياة الأسر، خاصة في مجتمعاتنا العربية، إذ يشير تقرير لليونسكو إلى أن معدل قراءة الأطفال في العالم العربي خارج المنهاج الدراسي 6 % في السنة، فيما يقرأ كل عشرين طفلا عربياً كتاباً واحداً سنوياً، فان الطفل البريطاني يقرأ سبعة كتب، والأمريكي أحد عشر كتاباً.

وتشير إحصائيات أخرى إلى أن رصيد الدول العربية لا يتجاوز 1.1 % من الإنتاج العالمي لكتب الأطفال على الرغم من وجود نحو 55 مليون طفل يمثلون 42 % من العدد الكلي للسكان في العالم العربي، بما يؤكد أن مصطلح القراءة ما يزال غائباً عن أولويات الطفل العربي. ويشهد العالم العديد من المشاريع والمبادرات للعودة إلى القراءة.

وتشجيع الأطفال والشباب عليها، بعد انشغالهم بمواقع التواصل الاجتماعي، التي يصل نصيب الفرد منها إلى أكثر من ثلاث ساعات يومياً، مقارنة بالقراءة الهادفة التي لا تتعدى في الغالب خمس دقائق، لذا سنحاول اليوم أن نستعرض بعض التجارب الناجحة التي نفذتها مؤسسات وأفراد بصفة شخصية، لعلمهم وإدراكهم بأهمية القراءة ومكانتها في بناء النفس والعقل ودورها في تهذيب وتقويم السلوك إذا ما أُحسِن استغلالها.

ترجمة كتب الأطفال

عندما ننتقل إلى أقصى الشرق حيث دولة اليابان، بلاد الشمس المشرقة التي تتميز بالاهتمام البالغ بمواطنيها منذ الطفولة، نجد أنها تقوم بتجربة عظيمة، لا تتم إلا عن اهتمام بإعداد أجيال على أعلى مستوى من الثقافة والتقدم، ولذلك تستحق الوقوف عليها والاستفادة منها، وتتلخص هذه التجربة في القيام بترجمة كتب الأطفال الجيدة على مستوى العالم من أي لغة إلى اللغة اليابانية.

ويبلغ متوسط ما يتم ترجمته سنوياً أكثر من مئتي عنوان، وتجدر الإشارة إلى أنه في كل عام يسافر من اليابان فريق إلى معرض ميونخ الدولي للكتاب بألمانيا، حيث يقوم هذا الفريق بدراسة وتمشيط كل ما هو في المعرض من كتب الأطفال بجميع اللغات، ثم يعود لدراسة المناسب منها لترجمته كي يستفيد كل طفل على أرض اليابان، ويصبح ملمًّا بكل ما يحصل عليه أطفال العالم من معلومات وخبرات، فيتفوق عليهم جميعاً.

مشروع كلمة قوية

ابتكرت مكتبة (فريدريشسهاين- كرويتسبرغ) ومكتبة (وسط برلين) مشروعاً لتشجيع القراءة، وتحفيز اكتساب اللغة. تساعد ثمانية برامج متعاقبة فيه الأطفال حتى سن الثانية عشرة على أن يكونوا فصحاء، ويمتلكوا معارف ومهارات يصبحون بها أقوياء كالكلمة، يصبحون «كلمة

﴿تشجيع وتعويد الطفل على القراءة تعد من الأمور المعقدة في حياة الأسر، خاصة في مجتمعاتنا العربية، إذ يشير تقرير لليونسكو إلى أن معدل قراءة الأطفال في العالم العربي خارج المنهاج الدراسي 6 % في السنة، فيما يقرأ كل عشرين طفلا عربياً كتاباً واحداً سنوياً، فان الطفل البريطاني يقرأ سبعة كتب، والأمريكي أحد عشر كتاباً﴾

﴿يسافر من اليابان فريق إلى معرض ميونخ الدولي للكتاب بألمانيا، حيث يقوم هذا الفريق بدراسة وتمشيط كل ما هو في المعرض من كتب الأطفال بجميع اللغات، ثم يعود لدراسة المناسب منها لترجمته كي يستفيد كل طفل على أرض اليابان﴾

قوية». يتكون البرنامج من 8 مجموعات، لكل مجموعة منها عروض متلاحقة، يزورها الطفل لمدة عام دراسي كامل في الأغلب.

وبشكل عام تنتظم المقابلات في برنامج منظم متصل الحلقات، دائماً ما يكون الكتاب فيها في بؤرة الاهتمام. حيث يُلهم برنامج (كلمة قوية) الأطفال ويعينهم للوصول إلى الكتاب، ويمهد لهم السبيل إلى موضوعات الكتب المصورة ومحتوياتها. ولكي يتم ذلك يتبع أمناء المكتبة برنامجاً متكاملاً، عن طريق اللعب والموسيقى والرسم والحركة، لتصبح اللغة والأدب فيه تجربة حياة.

ويعمل أطفال المرحلة الابتدائية طوال عام دراسي كامل في موضوع واحد من موضوعات برنامج (وقت للقراءة)، مثل: ألف باء جيم، أو برلين، أو الحيوانات والنباتات. وتتكفل المكتبة بتوفير المداخل المتنوعة والمتغيرة، بالاستعانة بالأساليب التعليمية المختلفة، محفزةً إياهم على التعمق في الموضوع في المدرسة.

وقد حقق برنامج (كلمة قوية) نجاحاً بالغاً، وحصد جوائز عدة، منها جائزة مسابقة الاتحاد التي كانت تحت شعار (تشجيع المواهب كلها) لمبادرة (ماكينزي تُعلم) لعام 2005. وقد سجل هذا البرنامج بوصفه نموذجًا (أحسن تطبيق) أصداء واسعة داخل البلاد وخارجها، حتى إن كثيرين حذوا حذوه.

ومن الأسباب الفعلية وراء هذه المعدلات المخيفة:

1. قصور مناهج التعليم والتربية في الوطن العربي وضعفها واعتمادها على الحفظ والتلقين، ما جعل كثيرين منهم يقف موقف العداء للكتاب وفي نفوسهم عداء تقليدي للكتاب المدرسي.
2. عدم تغيير أساليب تنمية مهارات القراءة في المرحلة الابتدائية فالثانوية فالجامعية.
3. عدم تشجيع أفراد الأسرة الطفل على القراءة والتفكير منذ الصغر.
4. منافسة وسائل الإعلام المختلفة للكتاب وخاصة الفضائيات والإذاعات، وكذلك وسائل التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر والواتس آب ونحوها.
5. غياب مفهوم التعليم والتثقيف الذاتي عند أفراد المجتمع.
6. حالة الإحباط واليأس التي يعيشها الإنسان في المجتمع العربي والإسلامي.
7. الغزو الثقافي الغربي وترويج ثقافة اللامبالاة والأنانية.
8. غياب الروح التشجيعية لدى المؤسسات الثقافية.
9. قلة الدعم المالي لإنشاء المكتبات العامة ودعم الكتاب ليصبح رخيص الثمن وفي متناول الجميع.
10. عدم اهتمام الدول بالكتاب وأعمالهم، ومكافأتهم على أعمالهم المتميزة كما تفعل الدول الأخرى.
11. اتباع بعض الدول سياسة فرض التخلف التعليمي على شعوبهم للسيطرة عليهم والتحكم في رغباتهم.

فيديو عن القراءة

لمشاهدة فيديو عن واقع القراءة في العالم العربي اضغط هنا

لمشاهدة فيديو عن أزمة القراءة في الوطن العربي اضغط هنا

لمشاهدة فيديو (القراءة ثقافة شعب) اضغط هنا

لمشاهدة فيديو عن كيف نشجع أطفالنا على القراءة اضغط هنا

لمشاهدة فيديو د. وليد فتيحي - اقرأ اضغط هنا